سمات البطل التراجيدي
في مسرحيات صلاح عبد الصبور

أ.د . حسين علي كاظم التكمه جي
جامعة بغداد / كلية الفنون الجميلة

مشكلة البحث :

أدرك الإنسان منذ الأزل وحتى الآن عبر الاتصال الجمعي ، البحث عن الدلالات والمعاني والقيم التي من شانها أن ترسم صورة للبطل أو البطولة ، بوصفها خصيصة لا تنعم بها كل الطبيعة البطولية ، وهي مجرد سمات تحدد الرمز البطولي . وتشخص هويته من كونه رمزا للجماعة ، وبالمقابل تعتبره وجه الاصطدام بمشكلات عصرها . من كونه يتمتع بعدة سمات تؤهله لأن يتسنم هذا المنصب . ومن هذه السمات والخصائص التي تؤطر مفهوم التأمل البطولي ، هو مبدأ التحدي ونقل المستحيل بقوة الإرادة ، والأداء الخارق أحيانا .

ويرى (ضيف شوقي) " بأن البطولة باللغة تعني الغلبة ، وهي غلبة تجعل فيها البطل يرتفع عن باقي الناس حينما يملأ نفوسهم إجلالا وإكبارا ." [١]

وبهذا اللون من التقديم للبطولة ، أصبح للبطل شأن في صيرورة المنقذ للشعوب ، بما يمتلك من سمات وخصائص تجعلهم يصلون إلى حد عبادة البطل ، بل راح الكثير يعتقدون بأن البطل مرسل لهم من قبل الآلهة لحمايتهم .

في الجانب الأخر فأن البطولة تنتمي لزمان ومكان معينين تحكمه بالضرورة ظروف موضوعية تديم مشروعية الصيرورة ، وعلى وفق ذلك رسمت الشعوب لأبطالها الخارقين صورا كمظهر يحدد تشبثهم واحترامهم له ، ويحدد (توماس كاريل) "بأن البطولة قد تظهر بصورة اله أو نبي أو بطل أسطوري ، وهي في الحقيقة ثمرة من ثمرات العصور الغابرة " .[٢]

وكلما يخطو التاريخ نحو الحداثة فأنه بالمقابل يظهر بطل جديد في الصورة السابقة بل بصورة تلامس الحياة الحالية (أي لا أله ولا نبي) ولكن شيء أشبه ما يكون من العظمة والأبهة ، وقد يكون شاعرا بحسب توماس كاريل .

---

[١] شوقي ضيف ، البطولة في الشعر العربي ، سلسلة أقرأ ، القاهرة : مجلة دار المعارف ، ١٩٧٠، ص ٩.

[٢] أنظر توماس كاريل ، الأبطال من الشرق إلى الغرب ، ترجمة محمد السباعي ، القاهرة : الدار القومية ، ب ت ، ص ٦٨.

ومن هنا تصبح الأمم في غاية البحث عن بطل بين إفراد مجموعاتها الاجتماعية (قسيس أو شاعر أو بطل ثوري ، أو بطل قومي أو بطل أسطوري) . ولهذا فأن سمات البطولة باتت تتمظهر بأشكال جديدة ، وعلى وفق ذلك فأن خصائص البطولة وسماتها تشكل سؤلا فلسفيا مفتوح الأفاق أمام عدد من الأطروحات التي تتحكم بها إرادة الزمان والمكان والصيرورة .

ولعل إنساننا العربي يبدو متأثرا لذات الصفة البطولية في (التفرد) ، وهي السمة القادرة على إقامة فعل التغيير في الحياة ، كما أنها بالمقابل تعد الصفة الأساسية في البطل التاريخي ، غير أن ذلك لا يمنع من أيجاد مجموعة الخصائص والسمات الدرامية التي تحدد نوعا من مبدئية الشخصية ، وقد تصطدم بالمؤلفين الدراميين العربي ومنهم بالخصوص (صلاح عبد الصبور) بوصفه يقدم بطلا عربيا دراميا في نصوصه المسرحية ، وأحيانا يلبسه لباسا تاريخيا من نوع خاص وهذا البحث يلقي الضوء على دراسة خصائص وسمات أبطال (صلاح عبد الصبور) بوصفه يقدم الشخصية على أنها فعل متقدم على باقي الأفعال . ولذا صاغ البحث عنوان بحثه (سمات البطل الدرامي في مسرحيات صلاح عبد الصبور) .

أهمية البحث : تأتي أهمية البحث من كونه يفضي إلى دراسة للبطل التراجيدي في مسرحيات صلاح عبد الصبور .

هدف البحث : يهدف البحث إلى التعرف على سمات شخصية البطل التراجيدي في مسرحيات صلاح عبد الصبور .

حدود البحث : دراسة المسرحيات الشعرية لديوان صلاح عبد الصبور ، وتحديد عينة البحث لمسرحيتين (الأميرة تنتظر و مأساة الحلاج) دراسة تحليلية ، ضمن المنهج الوصفي

المصطلحات :

السمات : نظام نفسي عصبي مركزي (خاص بالفرد) يعمل على جميع المثيرات المتعددة متساويا وظيفيا ، كما يعمل على إصدار توجيه إشكال متساوية من السلوك ألتكيفي أو التعبيري تعتمد على اتجاهين .

استعداد مستقل عن الظروف الخارجية .

العمومية أو الثبات في السلوك الفردي . [1]

[1] باسم جاسم الغبان، التربية وعلم النفس في فلسفة الإبداع، ط١، بغداد : دار ألهنا ، ٢٠١٠، ص١١٩.

وتقسم السمات بحسب (البورت) إلى : السمات الأصلية (cardinal traits) وهي السائدة في سلوك الفرد . والسمات المركزية (central traits) وهي من خمس إلى عشر سمات تميز شخصية الفرد (الخجل الخوف الدفء المنافسة) . والسمات الثانوية ، التي تمثل العناصر والمكونات الأساسية في الشخصية وهي تظهر في مواقف معينة دون غيرها (السيطرة العدوانية والعادات التفضيلات .

وتقسم كذلك إلى :

١. سمات مشتركة / كل الأفراد .
٢. سمات فريدة / إلا في فرد معين .
٣. سمات سطحية / واضحة وظاهرة .
٤. سمات مكتسبة / تنتج من التأثير بالبيئة .
٥. سمات وراثية / عوامل وراثية .
٦. سمات ديناميكية / تهيئ الفرد وتدفعه نحو الهدف .

سمات قدرة / تتعلق بقدرة الفرد على تحقيق الأهداف . [٢]

المبحث الأول :

على وفق ما أدرجنا في المقدمة ، بان أن هنالك نموذج للبطل في مسرحيات صلاح عبد الصبور الذي يتناول الموضوع أدبيا بصيغة شعرية ، من البطولة ، ويقدم التاريخ هذه الأشكال البطولية على خلفية وجود صراع داخلي بين الشخصية كفرد وبين ذاته المتساوقة مع النور ، ويمجد لما يكمن في فناء الذات من اجل قضية إنسانية ، أو من أجل قيم اجتماعية نبيلة و فصلاح عبد الصبور يرتقي بشخصياته لحساسيته المفرطة بوصفه شاعرا ، كما يقدم لغة شاعرية تسمو بهذا التوجه مما يجعل من شخصياته وأبطاله يحاكون مثالية أفلاطون عن طريق الوجد الذي يصيب الذات المتسامية ، ولعلنا نأخذ بتلابيب شخصيتين متفردتين من شخصيات البطولة عند صلاح ، احدهما (الأميرة تنتظر) وهي شخصية نسويه و(مأساة الحلاج) وهي شخصية ذكورية و وفي كلا الشخصيتين هنالك صراع داخلي تؤججه الدوافع والغرائز في صراع البطل مع ذاته .

ولهذا نستبعد عن شخصياته مفهوم سقوط البطل نتيجة خطأ يقترفه ، بل دائما يبحث صلاح عن مكنونات الذات البشرية ضمن الفعل المغروز في اللاشعور بوصف فعلا يؤجج

[٢] نفس المصدر أعلاه ، ص١٢٠-١٢١.

الصراع ويحسم الموقف ويقبل بالأمر الواقع من كونه يتفق مع الواقع الموضوعي دون أن يحيد بالمبادئ والقيم جانبا .

فالبطل لا يمثل حالة ذاتية آنية أو مشروع شخصي ، وإنما صورة مثالية من خلال معطيات التفاعل بين البطل وإطار الخوف الاجتماعي والبيئة وليس خارجا عنها و ويرى (نوري حمودي) " أن البطولة تكمن في القدرة التي يختزنها البطل والتي تبقى ملامحها واضحة على الرغم من انتهاء حياته " [١] .

في حين يضع بعض الباحثين البطال في خانة الثورية ، أو ما يمكن أن يدعوه بالبطل الثوري ، الذي يرى أن توجهاته مرهونة بتغيير الواقع الاجتماعي والسياسي ورفض الاضطهاد والظلم ، والبحث عن عالم مثالي من العدالة ، ويذهب (جان بول سترتر) إلى إن " البطل الثوري نموذج كفاحي يرتبط بطبيعته التي غالبا ما تواجه الاضطهاد ، وبهذا يكون فردا بفرديته، بل هو من نسخ الجماعة ولا يعمل بمفرده بل بمصالح طبقته " [٢] .

لذا هو غير هياب بالفجيعة وغير مكترث بالموت الذي يقترن بدفاعه ، فالموت لديه انتصار للكلمة أو الجماعة أو الفكر حتى لو كان بعد حين .

في حين ترى بعض وجهات النظر الدراسية لمفهوم البطولة التراجيدية رأيا أخر لكنه في الغالب يصب في مصلحة البطل ، حينما يرى (توماس كاريل) " بان الناس يحملهم فرط الإعجاب برجل من الرجال حتى يخالونه ناطقا بصوت أله ، إلا إذا كانوا عائشين في عصر خالي من الأوضاع العلمية والطبيعية " [٣] .

ويرى الباحث إن تقيم الناس أو المجتمع للبطولة ينحصر فيما يقدمه البطل ويقدم عليه من إجراءات تتسم بالجرأة والشجاعة والأقدام وعدم الأحجام حتى لو وصل الأمر حد الموت ، فستبقى قيمه وأفكاره بتناقلها المجتمع أدبا مكتوبا أو شفاها ، ذلك أن المجتمع في حقيقة الأمر هو الذي يحدد سمات البطولة وخصائصها ، كم يحدد بالمقابل قوة الإرادة في توجه البطل نحو التغيير ومجريات الفكر الذي يحمله .

لقد ظل مفهوم البطولة يشكل سؤل فلسفيا مفتوح الأفاق ، أمام عدد متباين من الأطروحات المتناقضة التي تتحكم بها إرادة الزمان والمكان ، وأن البطولة والثبات على القيم والمبادئ هي

---

[١] نوري حمودي ، البطل في التراث ، الموسوعة التاريخية الميسرة ، بغداد ك دار الشؤون ، ١٩٨٨، ص ٢١ .

[٢] للمزيد ينظر ، جان بول سارتر ، المادية والثورة ، بيروت: دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٠ ، ب ت ، ص ٧.

[٣] توماس كاريل ، الأبطال من الشرق الى الغرب ، المصدر السابق٤ ، ص ٦٨.

سمات جعلت من البطل التاريخي العربي بطلا استثنائيا ومتفرد في نظر الآخرين ، وقد يتصف الحلاج بهذه الصفات والسمات و على الرغم من إن ما تفضي له هذه الدراسة قد يغير النتيجة ، إلا إن البحث يرى أن شخصية الحلاج ضمن عباءة التراث العربي والإسلامي قد أثارت جدلا ضمن عصره .

وان أبطال الأدب في السيرة والتراث ، فرضتهم السمات والخصائص الموضوعية والاجتماعية بين البطل من جهة والفعل الحياتي السلوكي من جهة أخرى ، البطل كتراث فاعل ومؤثر ، وجرت العادة إن الطبقة هي التي ترشح أبطالا صارت سيرهم مثالا للأجيال ،وهي نماذج توارثها العرب في قراءة التراث الأسناني الكبير .

وقد وصل ألينا الكثير من أبطال السيرة والتراث الذين عدهم التاريخ العربي أبطالا (كالطاهر بيبرس و سيف بن ذي يزن وفيروز شاه و احمد الدنف و حمزة البهلوان و علي الزيبق وغيرهم) [١] .

ولعل الحسين بن المنصور الحجاج واحدا منهم ، ومن هنا نكون قد قدمنا سؤلا مهما عن سمات البطولة ، فالتكوين الفني والفكري للبطل في العرب والسلام جعل منه صوت وفاء للمبادئ ولا يمكن قياس البطولة بمعزل عن الظروف المحيطة الاجتماعية والسياسية والبيئية التي رافقت ظهور البطل زمكانيا ،ويذهب توماس الاكويني في فلسفته الدينية للعصور الوسطى،بان الفلسفة الدينية هي غاية الإنسان للوصول إلى لمحة قدسية للخالق ،علما انه اخذ عن أرسطو الكثير من أفكاره في الأخلاق ليشكل لديه نموذج للبطل الديني .

ويذهب علم النفس إلى تقسيم الشخصية البطولية تحت قائمتين إما خصائص وإما سمات ،إما الشخصية النمطية ،غير إن السمات هي المواصفات ذات السمة النبيلة والتي تلامس المثالية في شخصية البطل ،وهي بالحقيقة فضائل الشخصية وقيمها المبدئية السامية وهي بمثابة الصفات النادرة للشخصية .

وعليه فان البحث سيقوم بدراسة النموذجين لشخصيات وأبطال صلاح عبد الصبور في محاولة لدراسة أهم سماتها الدرامية وتحديد نوع البطولة .

[١] للمزيد ينظر ، فاروق خورشيد أضواء على السير الشعبية ، القاهرة : وزارة الثقافة ، ١٩٦٤، ص٢١.

المبحث الثاني :

العينة الأولى (الأميرة تنتظر)

يقدم صلاح عبد الصبور في ديوانه الشعري أربع مسرحيات هي على التوالي . الأميرة تنتظر و مأساة الحلاج و مسافر ليل ، وليلى والمجنون) ولدراسة سمات البطولة في أعمال عبد الصبور فقد تم اختيار عينتين هما (الأميرة تنتظر) بوصفها شخصية نسويه على مستوى البطولة ، و (مأساة الحلاج) بوصفها شخصية ذكورية على مستوى البطولة . والشخصيتان تنتميان إلى شخوص التراث ، وتلامسان الواقع العربي والتاريخي لبيان استنباط السمات التي يتكأ عليها الشاعر في رسم شخصياته .

مسرحية الأميرة تنتظر كتبت بلغة شاعرية تنطوي على لغز تفك طلاسمه نهاية المسرحية من خلال فهم طبيعة الحدث وحركة الشخصيات ا لخمسة ، ألا أن الشخصية الأكثر أهمية هي شخصية الأميرة من كونها الشخصية التي تحرك الأحداث والفعل الداخلي ، وبالتالي سلوكها المعتمد على فعل التصرف الغريزي ، أراد صلاح وضع السادة وهم (الأميرة ووصيفاتها الثلاث) في كوخ مظلم خارج المدينة تحيطه غابة من أشجار السرو ، ويغلفه الظلام والاكتئاب ، لدرجة أن الشخصيات النسويه مللن من البقاء في الكوخ تحت رحمة الانتظار الدائم لعشرين عاما مضت ، فقد خدعتهن الأيام والأحداث وهن ينقلبن من يوم ميت إلى أخر اشد موتا ، وتتصدر الأميرة الغرفة العلوية من الكوخ وقد وصفت من كونها لامعة جميلة كالبدر ، ذات قوام رشيق وعيون واسعة وجسم يتحرك مع الريح ، هي والوصيفات ينتظرن رجلا طال فراقه عندما كان يلوح للأميرة بالحب ، وان الوصيفات يقعدن معها طيلة المدة لمجاراة سيدتهن الأميرة ، ويقمن في كل ليلة حفلا من الضحك الذي ينتهي بالبكاء وتنتهي الحفلة في كل ليلة على هذا المنوال ، وتبدأ باستلقاء الأميرة على المنضدة وتتزيا الوصيفات بزي الرجال ليداعبن مولاتهن حتى ينتهي الأمر بالضحك والبكاء الممزوج بالألم ، وهن بانتظار من طال فراقه خمسة عشر عاما ، يعشن في الكوخ كسالى لا يضحكن إلا بأمر الأميرة التي لا تضحك .

وعند هبوب الرياح في ليلة كئيبة يظهر رجل (قرندل) رجل يتسلل إلى الكوخ بعد معرفته اللغز ، وهو كما يتضح يصطاد الفرص وكأنه الإخطبوط الذي يستعلم الأمور ليصطاد الضحية ويكون سيد الموقف ، يدخل الكوخ دون أن نعرف سماته أو توقعه ولم تتعرف عليه الأميرة والوصيفات لكونه مبهم ، فتتركه النسوة دون مبالاة ويبقى جالسا في الظلمة . إلا أن حفل الليل سيكون كما كان بحضور الغريب أو بدونه .

ويبدأ الحفل كما هو في كل ليلة ، فيدخل في نهاية الليل رجل يدعى (السمندل) وهو المنتظر غير المرحب به ، وبعد مناقشة حادة وطويلة بينه وبين الأميرة ،تتكشف أسرار الكوخ والقصر معا ، حينما نكتشف أن (السمندل) عاشق الأميرة وحبيبها الأول وهو الذي ترك بأحشائها طفلا برغبتها الشخصية ، إلا أنه متهم بقتل والد الأميرة (الملك) ، غير أنه أكد لها بأن الملك كان مريضا منخور القوى لا حراك به ، وعلم أيضا أن الملك سيموت دون أن يترك وليا للعرش ، فأقام مع الأميرة علاقة دامت عشر سنين يمارس الحب في انتظار موت الملك وانه كما يزعم لم يقتل الملك أنما الملك مات بمجرد أن لمسه ولم يكن القاتل كما زعم الجميع ، وأكد لها أنه عاد لها بقوله (كي نصنع أياما أجمل مما فات) ويعلمها بأنه هيأ للأميرة كل أجواء القصر وما حوله ، لكن الأميرة لا ترغب بالسمندل بوصفه مطلوب لثأر الملك ، لكنه يذكرها قبل خروجه بقوله (لا تنسى المرأة أول رجل باتت ساخنة بين كفيه) ثم يظهر قرندل من الظلمة ليحدث صراع جديد بين الرجلين ، والقرندل يبحث عن اللحظة التي (يرقص فيها فرحا لخلاف الآخرين) بوصفه شاهدا على ما حدث ، فيهم السمندل بطعنه بسكين ليرميه قتيلا على الطاولة جثة هامدة، ويشهق الجميع ، ليستدير السمندل ويودع الأميرة بقوله الأخير :

السمندل /

اضطجعي مع نفسك

ولتكفك ذاتك

ليكن كل الفرسان الشجعان

ممن سجلوا أمرهم في عينيك

لك خداما لاعشاقا

أو عشاقا لامعشوقين (يخرج)

أخيرا تقرر الأميرة مع الوصيفات أخر الليل العودة إلى القصر من طريق الغابة بقولها

الأميرة /

سأدخل ساحة قصري مترجلة

حتى أتلقى من خدمي ورعاياي

ما يبهج نفسي من حب وخضوع

هيا هيا ..... أسرعن . [1]

يمكن إجراء مسح لخصائص شخصية الأميرة بحسب ما جاء في النص كي يمكن لنا تحديد سمات الشخصية كما يأتي :

جميلة وملكة .

خمر ينسكب على لوح بلور .

ذات قوام رشيق .

تبحث عن رجل .

يقتلها العشق .

كثيرين لوحوا لها بالحب .

لا تضحك .

حزينة.

تحركها شهوة الجنس .

رغبتها بانتظار من كان يلوح لها بالجنس اقوي الرغبات .

تجعل من الوصيفات في حفلاتها المسائية رجالا يداعبن جسدها.

تحلم بالرجل وتقدمه على العرش .

تنسى مقتل والدها والثأر له .

وبهذا يمكن القول أن سمات شخصية الأميرة فريدة من نوعها وضعيفة وغير مستقرة ، تحركها نوزعها الداخلية . ويمكن حصر الفكرة الأساسية للمسرحية بالجملة التالية : (أمام الرجل ينتهي العرش) .

يرى عبد الصبور في مسرحيته الأميرة تنتظر – مدخلا فكريا مهما ينطوي على عدم منح المرأة دورا مهما في قيادة البلدان والسياسة ، من كونها تنساق وراء شهواتها الدنيا أكثر من شهوة الحكم والعدل ونشر السلام ، على الرغم من أن تساءا كثر كن في موقع المسؤولية وقدن دولهن بالحكمة والرأي السديد ، لكنه يرى أن حكمة النساء في شهواتهن ويقدم لنا بطلة من نوع خاص قد لا تتفق مع شخصيات البطولة ، إنما بطلة بوصفها أميرة وملكة بالوراثة و لكنها تنهار من موقع البطولة إلى النكوص بدل السمو إلى النبل ، وهو أمر يحدث بالمصادفة و على مستوى البطولة ، فسمات الشخصية حقيقية لا ترتقي لمستوى البطولة لكنها أصلا في موضع البطولة ، ويرى

[1] ينظر ، ديوان ، صلاح عبد الصبور ، دار العودة بيروت ، ١٩٧٢، ص٤٢٤.

الباحث إن البطولة هنا يمكن أن تعقد (للسمندل) الذي حرك مجسات اللعب الخاصة لأغراء الأميرة ليعتلي من خلالها كرسي العرش بدون منازع ، على الرغم انه لا يملك أي صفة أو سمة من سمات البطولة ، لقد كانت البطولة لدى السمندل تخضع لمنطق القدرة في التأثير على الآخرين ، حاشية ووزراء وقادة ووصيفات وأخيرا الملكة ليفوز بالعرش والملكة معا ، تحت رحمة الرغبة الشهوانية القذرة وليس بفعل النبل . إنها بطولة سرية يحذرنا منها صلاح لأن الحكم عقيم ، ومن يعتلي العرش تحت سيطرة الرغبات القذرة ، فلن يكون بإمكانه أن يقدم لشعبه شيئا ، فالعرش لا يعتليه ذوي النزعات الدنيئة ، بل النبلاء الذين يقدمون المبادئ على الشهوة .

العينة الثانية :

مأساة الحلاج :تشكل مأساة الحلاج موقفا من البطولة أو النموذج من البطال السيرة والتاريخ ، وقد ظهرت هذه الشخصية في القرن الثالث الهجري وهي شخصية واقعية أثرت جدلا وموقفا مهما في تاريخ العرب والمسلمين ، فقد تناوله التأريخ من كداخل عديدة .

ولد الحسين بن منصور الحلاج في منتصف القرن الثالث الهجري ، وكان واله يعمل بصناعة الحلج وعمل مع والده بذات الصنعة ومن هنا أتاه اللقب .

تلقى خرقة الصوفية عن المتصوف (عود المكي) أحد كبار المتصوفين ، والخرقة رمز لخلع الدنيا والفناء في الجماعة (الصوفية) تزوج من أمرآة بصرية عاش معها كل حياته وأولدها أولادا .

أتصل (بالشيخ جنيد) ثم صار له مريدون وقد اختلف مع الصوفية في عصره و فاخذ يتصل بالناس ونبذ خرقة الصوفية ، ثم زار الهند ، سجن لأكثر من مرة وحوكم أكثر من مرة و وأخر محكمة كانت عام ٣٠٩ هجرية ، ترك الحلاج مجموعة من الأشعار تتحدث عن تجلياته الصوفية وكذلك النثر في كتابه (الطواسين) .

له دور اجتماعي وقد استمال إليه الكثير من الوزراء وحاشية السلطان في الأمصار . [١]

يتخذ عبد الصبور في المسرح الشعري شخصيات أستنبطها من التأريخ في معظم أعماله الدرامية ، ويقدم (مأساة الحلاج على وفق ثلاث محاور ، كل محور منها يقدم مدخلا جديدا لمعالجة الشخصية محاولا استخدام اللغة الشاعرية على اللغة النثرية ، اعتقادا منه أن المرحلة القادمة تأذن بعودة الشعر إلى المسرح .

---

[١] للمزيد ينظر ، ديوان صلاح عبد الصبور ، المصدر السابق ، ص ٦٠٥ .

هذه المحاور يمكن رصدها بما يأتي (الكلمة ، الموت ، المحكمة) ويعتقد أن كل جزء منه هو مكمل للأخر في النص الدرامي ، ويمكن أن نلخصه من كونه فصلا في الخطاب النصي .

تقدم المسرحية كما هو أسلوب صلاح فعلا دراميا لأحداث سابقة عليه ، والمسرحية تكشف فيما بعد أحداثا يدعوها (كورك نيان) في نظرية الأدب بالوضعية الأساسية ، لتتشكل بعد بداية الفصل الأول كما هو الحال في التراجيديا الإغريقية الأحداث الماضية التي أدت إلى الفعل العام ، والنص يقدم مجموعة من الشخصيات تتراوح بين الرئيسية والثانوية والكومبارس ، إلا أنها بكل الأحوال تدعم الوضعية الأساسية ، لاكتشاف خصائص البطل ، ومن هذه الشخصيات من يساهم في دفع الفعل نحو التوتر الخلاصة الكنفية للأحداث الناقصة ، في كل الحوال فان شخصية الحلاج تعتمد الشخصية البطلة . والمشهد الأول هو المشهد الأخير في سياق الحدث الواقعي ، حينما يقدم لنا الحرج مصلوبا على شجرة في بغداد ، ومن هنا يبدأ فعل التساؤل الذي يفرضه العديد من الناس عن هذا المصلوب ليكشف لنا الحدث الحقيقي رويدا رويدا .

في القسم الأول يظهر الفلاح والتاجر والواعظ ومجموعة من الناس لتبين لنا أهمية الحدث ، عندما تعمد الحكومة إلى إغراء عدد من المتسولين بالدينار الذهب وقتله بالكلمة ، عندما اتهموه بالزندقة وأمروا بقتله ، ليتسنى للمحكمة تنفيذ ذلك ، أما المجموعة الثانية فهم من مريده الذين أحبوه فقتلوه رغبة ببقاء أفكاره والكلمات سائدة تتناقلها الألسن .

أما المنظر الثاني يدور في بيت الحلاج بين اقرب المقربين إليه من أصدقائه (ألشبلي وإبراهيم) محتفين به ، ويقررون من الدار أعلام العديد من شيوخ الطريقة المتصوفة عن طريق إرسال الرسائل لهم بالدعوة إلى نصرة المظلوم وتحقيق عدالة السماء ، ويأتي بعد ذلك دعوة فكرية لتوجهات الحلاج ودعوته للموت بقوله (من يقتلني محقق لمشيئة الله) . وكان يدرك إن قتله أمر لا رجعة عنه .

في المشهد التالي يتهموه الشرطي بالزندقة ويودعه السجن ، ويتم تعذيبه ثم يقدم للمحاكمة غير العادلة ، ويأمر السلطان بإطلاق سراحه ، لكن وزير السلطان يأمر بمحاكمته على جريمة اللحاد والزندقة وبين الأيمان ، ويحدث بين القضاة شرخ على التهمة ، حينما ينسحب أحد القضاة من المحكمة رافضا محاكمة الفرد على أيمانه من كونها من شأن اله تعالى وليس من البشر ، وتعقد محكمة صورية شهودها الشرطة والعامة المدفوع لهم سلفا وبعض مريديه ، وتخلص المحكمة باتهام الحلاج بالزندقة من كونه يحمل ذات الله في ذاته ، ويصلب على نهر دجلة ببغداد .

يتضح من حبكة النص بان شخصية الحلاج شخصية واقعية صرفة و إلا إنها تمتلك نوعا من السمات تؤهلها لتسمو نحو الشخصيات البطولية أو بما يوازيها ، وعليه سيقدم البحث تحليلا لهذه الشخصية وفقا لما جاء في النص الدرامي :

أن لديه نور من الباطن .

يرى بأن الشر استولى على مملكة الله .

لا يستطيع غض العين عن الظلم في الدنيا .

يسعى لإلغاء الظلم وقتل البشر .

ينقمون عليه الحكام كونه يبحث عن العدالة .

يهتم بأن يرعى الآخرين أفكاره .

أصحابه آيات القران وأحرفه .

يخوض في طرق الله حتى يفنى فيها .

أحب من ينصفه فأعطاه ، كما أعطاه الله .

أتهم بالزندقة دعوته عن القحط والظلم والدولة ، جلبت له المصير المحتوم . لا يهمه التعذيب ولا يصرخ منه ، بقوله جسدي ميت .

لا يعرف صاحب تاج إلا الله .

الناس عنده سواسية .

الرأي الظالم برأيه ستار يحجب نور الله .

يرفض القتال بالسيف ، ويبحث عن الأبصار .

يظهر إن شخصية الحلاج ذات سمات بعيدة عن سمات الشخصية الواقعية ، كونها منضوية تحت عمق الأيمان العالي بالله عن طريق الأبصار ، وهو يرى برؤية أهل الجنة ، فما أن يرى ملكوت الله في الأرض ، ويبحث عن عالم مثالي ، وفي الصوب الأخر يظهر من كونه بطل ثوري أن جاز لنا التعبير، واعظ ديني يروم تحقيق العدالة في الأرض ، مستندا بذلك على القران الكريم وآياته وبذلك يتحول إلى داعية أسلامية ، كما أنه بهذا الأيمان والتصوف لا يهمه مما يلاقيه من شرور السلطة ، بوصفة يضع كل ما يلاقيه كجزء من مرضاة الله والفوز بالجنة . شخصية تتجلى صفاتها الداخلية على صفاتها الخارجية بشكل واضح ، ويمكن القول إن الحلاج شخصية مثالية وبطولة فردية ذات سمات ثورية ، وفعل الكلمة لدية أقوى من حد السيف ، لقد حققت الشخصية أهدافها التي سعت لها .

نحن أما مفترق طرق في إيضاح مستوى البطولة للحلاج بين لن يكون بطلا ثوريا وبطلا اجتماعيا و بطلا دينيا أو داعية إسلامية ، وقد نجد أكثر من سمة من سمات الشخصية كما قدمنا لها تتفق مع شخصية الحلاج كما سيتضح من نتائج البحث .

نتائج البحث :

١-ظهر أن شخصية الأميرة شخصية ضعيفة لا ترتقي لمستوى البطولة ذلك من كون شخصيتها تتفق مع السمات التالية :

أولا – ظهر أنها ذات سمات **مرتدة** / وهذه السمة لا تتوفر في كل الأشخاص أنما في فرد معين .

ثانيا – كما تتفق شخصيتها مع السمات **الديناميكية** / التي تهيئ الفرد وتدفعه نحو الهدف .

وبهذا تكون شخصية الأميرة من **السمات المركزية** .

٢-ظهر إن شخصية الحلاج ذات سمات متعددة ويمكن إسقاط ذلك على السمات التالية :

أولا – ظهر أن شخصيته من السمات **الفريدة** / التي لا تتوفر في كل الأشخاص إلا في أفراد معينين على وفق مواقفه .

ثانيا – ظهر أن لديه كذلك سمات **ديناميكية** / من التي تهيئ الفرد وتدفعه على تحقيق الهدف ، لكن نحو السمو والعلو وليس النكوص كما هو الحال في شخصية الأميرة .

ثالثا – ظهر أن لديه سمات **القدرة** / التي تتعلق بقدرة الفرد على تحقيق الأهداف .

وهو بذلك يتفق مع **السمات الأصلية** .

جاءت هذه النتائج وفق ما قدمنا له في الصفحة رقم (٣) من البحث .

المصادر

١- باسم جاسم الغبان ، التربية وعلم النفس في فلسفة الإبداع ، بغداد : دار إلهنا ، ٢٠١٠ .

٢- توماس كارليل ، أبطال من الشرق إلى الغرب، تر محمد السباعي ، القاهرة: الدار القومية ، ب ت .

٣- جان بقول سارتر ، المادية والثورة ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٠

٤- شوقي ضيف ، البطولة في الشعر العربي ، سلسلة أقرأ و القاهرة: الدار القومية للنشر ، ب ت .

٥- صلاح عبد الصبور ، المجموعة الكاملة ، بيروت : دار العودة ، ١٩٧٢.

٦- فاروق خورشيد ، أضواء على السير الشعبية ، القاهرة : وزارة الثقافة ، ١٩٦٤.

٧- نوري حمودي ، البطل في التراث ، الموسوعة التاريخية الميسرة ، بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٨